الكُونتِيس أسْكربينَاس

أشخاص المسرحية

الكونْتيس أَسكرْبَنْياس

الكونْت : إبنها.

الفيكونْت : عاشق جوليا.

جوليا : عاشقة الفيكونت.

السيد تيبوديه : مستشار، عاشق الكونتيس.

السيد هَرْبين : جابي الضرائب، عاشق الكونتيس الآخر.

السيد يوبينيه : أستاذ الكونْت الصغير.

أَنْدْريه : مرافقة الكونْتيس.

كريكية : خادم الكونْتيس.

الأحداث تجري في مدينة أنْكوليم (بفرنسا)

المسرحية ذات فصل واحد

المشهد الاول

جوليا، والفيكونْت

الفيكونت : ماذا جرى، يا سيدتي ؟ اراكِ هنا باكراً.

جوليا : نعم، عليك أن تحمرّ خجلاً، يا كليانْت. فليس من الشهامة أن يصل العاشق الى الموعد آخر الجميع.

الفيكونت : كنت وصلت منذ ساعة لولا وجود المزعجين في هذه الدنيا. فقد اوقفني اثناء الطريق أحد المتطفلين الثقلاء وطلب مني بإلحاح أخبار البلاط الملكي كي يتسنى له ان يعلمني بأنحس الانباء. وهذه واحدة من كوارث المدن الصغيرة التي يمثّلها هذا الشخص الغريب الاطوار الذي يهمه ان يجمع مثل هذه الاخبار وينشرها. فقد أراني ورقتَيْن مملوءتَيْن بالتوافه التي أكدّ لي أن مصدرها موثوق به. ثم قرأ لي بأبّهة حماقات الجريدة الهولندية، ثم غاص في تحليل تصرّفات الوزير. فخِلْت انه لن ينتهي من تلاوتها إلّا بعد ساعات، واذا سمعتِ أقواله تظنين انه واقف على جميع انجازات الوزارة اكثر من اي شخص سواه. وسياسة الدولة تهمّه اكثر من شؤونه الخاصّة. فيتدخّل في طولها وعرضها لتحليل المواقف العامّة. ثم يتطرّق الى المسائل الخفية التي تدور في المجتمع بين جيرانه وأصحابه، وينتقل الى القضايا الاوروبية بحماس واهتمام. وتصل ابحاثه الى مسائل

افريقيا وآسيا، وينتقد كل ما يجري في المجالس العليا من العامل يوحنا الى المسؤول الكبير.

جوليا : اراك تهتمّ به كأنه شخصية بارزة، وتروي حكاياته كأنه ركن من اركان الدولة.

الفيكونت : هو في الواقع، يا جوليا الحلوة، سبب تأخّري. مع اني لم أشأ ان أبدي أيّ عذر. وعلى سبيل المجاملة اصارحك بان هذا الموعد خلق موجباً لمعاقبتي كما يجري بين الزوج وربة المنزل. وهذا ما جعلني في الحقيقة ان لا اكون اول الواصلين الى هذا المكان. لأني لا أريد ان ينشب اي نزاع بين وبين المتطاولين. ومن جهة اخرى لم أشأ ايضاً ان اشترك في الجدل الذي يحرّض عليه من يعير أذناً صاغية هذه الكونتيس السخيفة التي تضايقني كلما وجدتها عندك. وبوجيز العبارة، أنا لا آتي الى هنا إلّا من أجلكِ أنتِ فقط. وأنا وطيد الامل بأن الْقاكِ حتماً في هذا المكان.

جوليا : انا أعرف انك لن تعدم وسيلة لتستر بالالوان الزاهية كل الأخطاء التي ترتكبها. مع ذلك لو جئت قبل نصف ساعة، لكنا استمتعنا اكثر بكل هذه الاويقات السعيدة. لأني عند مجيئي وجدت الكونتيس قد خرجت. ولا شك عندي انها ذهبت الى المدينة لتشاهد المسرحية التي ذكرت لي عنوانها.

الفيكونت : مهلاً، يا سيدتي، متى تريدين ان تضعي حدّاً لهذه المشاكسة، وتضطريني الى المجيء لكي أجدك هنا ؟.

جوليا : عندما يتمكّن أهلنا من الاتّفاق، وهذا أمر لا أجرؤ على تمنّيه، نستطيع ان نتقابل. أنت تعرف مثلي أنّ اسرتَيْنا لا تسمحان لنا بأن نتلاقى في مكان آخر، وأن إخوتي وكذلك أبي لا يرضون مطلقاً ان يتعلّق احدنا بالآخر.

الفيكونت : لذا لا أرى سبباً لعدم تمتّعنا بمواعيدنا على انفراد في جلسة حميمة ابتهج بقضاء اوقاتها الممتعة ولو خلسةً بالقرب منك.

جوليا : ولإخفاء حبّنا بصورة افضل، لا اكتمك في الحقيقة اني أُسرّ بهذه الخلوات الحلوة وأرجو أن يكون اجتماعنا اليوم مسليا اكثر من سواه. فان

الكونتيس أسْكَربنياس بما تبديه دوماً من عناد وإصرار، هي أقرب الى شخصيات المهازل التي نشاهدها غالباً على المسارح. والرحلة التي قامت بها الى باريس قد أعادتها الى مدينة إنْكوليم وهي اكثر انسجاماً مع نفسها. لان قربها من جوّ البلاط الملكي قد أضفى على سخافتها نكهة، ولا تزال حماقتها بازدياد مستمرّ.

الفيكونت : نعم، لكنك لا تعتبرين أن اللعبة التي تُلهيك تذيقني مرّ العذاب، واننا لا نستطيع إطالة اللعبة، عندما يكون قلبنا مشغولاً بقضية جدّيّة مثل التي تشغل فكري بهواكِ. لمن العصب، يا عزيزتي جوليا، ان نختلس هذه التسلية من حبنا هذه الليلة وقتاً مستساغاً يجدر بنا ان نستفيد منه لتوطيد علاقاتنا الغرامية. فقد نظمت بعض الاشعار ولا يسعني إلّا ان أتلوها عليك لتسمعي دقات قلبي المغرم بك من خلال كلمات تُعتبر أصدق تعبير عن مشاعري ولقد مضى وقت طويل علي، يا إيريس وأنا أتعذّب.
وهنا لاحظي اني استخدمت اسم ايريس بدل جوليا للتمويه.

لقط مضى وقت طويل عليّ يا ايريس، وأنا أتعذّب.
وإن خضعت لشرع هواك، فأني ألُوم فكري المتعب.
لأنك تجبرينني على كتمان الآلام التي تنتابني.
وأنا أشكو علّة أعرف ان حبك فيها يقلقني.
هل لعيونك الجميلة الساحرة.
أستطيع ألّا أستسلم لأسباب قاهرة.
فإن صدّك يؤرقني، وبعدكِ يتلفني.
كأن الجفاء ينوي أن يذوبني.
ها هوذا هواكِ قد ملأ فؤادي.
كفاك ان تستهتري بعواطفي وتنادي.
ان لا حيلة لك في تسبيب سهادي.
حبك يذكي لهيب أشواقي.
وأنت لا تأبهين لفراقي.
رحماكِ متى يحين التلاقي ؟

جوليا : اراك تبالغ في اتهامي بأني أُسيء التصرف تجاهك. لكن ما توجّهه اليّ من اللوم والعتاب، لهو لغة أتقنها الشعراء الذي يطلبون المزيد ولا يرتوون، وهم ينسبون الى حبيباتهم أبشع الصفات الوحشية زوراً وبهتاناً. مع ذلك أرجوك ان تكتب لي هذه الابيات على ورقة وتعطيني اياها.

الفيكونت : يكفيك ان تسمعيها وأن نقف عند هذا الحدّ. لأني لا اريد أن تتمعّني فيها وتُمعني بالتالي في تعذيبي مجدّداً.

جوليا : عبثاً تريد ان تخفّف وطأة كلامك الجارح. فالجميع يعلمون مقدرتك وحدّة لسانك اللاذع. فلماذا تريد ان تلطّف لهجتك وانت لا تكفّ عن مهاجمتي ؟.

الفيكونت : الفيكونت : يا الهي ما هذا الحديث، يا سيدتي ؟ دعينا نتجاوز هذا الأخذ والردّ لئلا نصل الى ما لا يرضينا وما لا تُحمد عقباه. فأنا أتشبّث بحبك، وأنتِ لا تقلّين عني هياماً بي. وكلانا لا نودّ أن نصبح مضغةً في افواه اللائمين اذا بلغت اقوالنا مسامعهم.

جوليا : ما بك، يا فيكونت. مهما قلت فيّ، ومهما شكوت من تحفّظي حيالك، سأظلّ كما تعهدني صديقتك التي لا تقوى على الابتعاد عنك، ولا تطيق صبراً على الغياب عنك.

الفيكونت : أنا، يا سيدتي ؟ هل تسخرين مني ؟ انا لست شاعراً كما تظنين لكي... ها هي سيدتي الكونتيس أسْكربنياس. لأني أفضّل أن أخرج من ذاك الباب كي لا ألْتقي بها. وانا ذاهب الى أصحابي لألهو بعض الوقت.

المشهد الثاني

الكونتيس، وجوليا، واندريه، وكريكيه

الكونتيس : يا الهي. كيف جئت وحدك ؟ ما بك تأتين وحيدة على غير عادتك ؟ يُخيَّلُ اليّ أن أحداً قال لي إن الفيكونت عندك.

جوليا : صحيح، لقد أتى الى هنا. لكنه عندما لم يجدكِ، ما لبث ان ذهب.
الكونتيس : اذاً، شاهدك.
جوليا : نعم.
الكونتيس : ولم يكلّفك بأن تقولي لي أية كلمة.
جوليا : كلا، يا سيدتي. من مجيئه فهمت انه يودّ ان تعلمي مدى السحر الذي تسلّطه عليه عيونك وقد وصفها بالساحرة.
الكونتيس : حقاً أريد أن اعاتبه على هذا التصرف. مهما كان حبه لي شديداً اريد ان اثبت له أني لست كسائر النساء المفتريات اللواتي لا يأنفن ان يظهرن فتنة جمالهن واستبدادهن لا سيّما أمام حاسداتها من بنات حوّاء.
جوليا : لا يجوز لك، يا سيدتي، ان تتعجّبي من هذا الاسلوب. فالحب الذي تخصّينه به ظاهر للعيان، والجميع يوجّهون اليك نظرات الإعجاب.
الكونتيس : أنا لا أستاء عندما أرى تأثير شخصيتي على من يحيطون بي. وأشكر الله الذي حباني هذه الصفات الفريدة. ولكن ما لا أطيقه هو أن لا يُراعي الرجال شعور باقي السيدات من حولي. ماذا تفعل هنا، يا كريكيه ؟ أوَليس من مكان غير هذا تمكث فيه وتظلّ قريباً لكي يناديك من يحتاج اليك ؟ غريب حقاً أن لا أجد في الأرياف خادماً يعرف واجباته. الى من اوجّه كلامي ؟ هيا اذهب من هنا، أيها الغبي، وانتِ أيتها الفتاة اقتربي مني.
بماذا تأمرني سيدتي ؟.
الكونتيس : خذي قبعتي وضعيها بلطف في مكان لائق.
اندريه : نعم، يا سيدتي. كما تشائين.
الكونتيس : مهلاً، لقد تسرّعت بانتزاعها عن رأسي هكذا. كوني اكثر مرونة. خذي ايضاً هذا « الشال » ولا تدعي طرفه يلامس الأرض. وخذي هاتين القطعتيْن الى خزانة ثيابي. الى اين انت ماضية ؟ وماذا تريدين أن تفعلي بهما ؟.
اندريه : أن آخذهما الى الخزانة، حسب طلبك.
الكونتيس : تبّاً لك من غبيّة. قلت لك أنْ تأخذيهما الى خزانة ثيابي أنا.
اندريه : هل لك في البلاط خزانة خاصة، يا سيدتي ؟.
الكونتيس : نعم أيتها الحمقاء. الخزانة هي المكان الذي تحفظ فيه الملابس.

اندريه : سأتذكّر ذلك، يا سيدتي. وكذلك مخزنك الذي تُسمينه خزانة.
الكونتيس : ما أصعب تثقيف مثل هذه الحيوانات العديمة الفهم.
جوليا : كم أنا مسرورة، يا سيدتي، بأن تتلطّفي وتفرضي النظام هنا.
الكونتيس : هذه الفتاة، هي ابنة مرضعٍ كانت في خدمتي، وهي لا تزال في طور التمرين.
جوليا : هي ليّنة العريكة، يا سيدتي، ومن السهل تعويدها على التصرفات اللائقة.
الكونتيس : هيّا، ايها الخدام، اجلبوا لنا مقاعد، هيّا. في الحقيقة، امر لا يطاق ان لا يجد الانسان خدماً يفهمون ويلبّون طلب المقاعد. أيتها الفتاة، ايها الخدم، أين انتم ؟ ما هذا الاهمال ؟ ألاحظ ان لا حياة لمن أُنادي، وأخشى أن نذهب نحن لجلب مقاعدنا.
اندريه : ماذا تريدين، يا سيدتي ؟.
الكونتيس : هل يتحتّم عليّ أن أبحّ صوتي وأنا أناديك ؟.
اندريه : كنت اضع قبعتك و « شالك » في الخزانة يا سيدتي.
الكونتيس : نادي الخادم الغبي كريكيه.
اندريه : ايها البليد، تعال.
الكونتيس : أتركي هنا بليدك، يا بلهاء، ونادي خادماً غيره.
اندريه : يا كريكيه، لا، أنت أيها البليد تعال وكلّم السيدة. أظنّ أنه أصمّ يا كريكيه، يا كريكيه.
كريكيه : بماذا تأمرين ؟.
الكونتيس : أين كنت، ايها المحتال ؟.
كريكيه : في الشارع، يا سيدتي.
الكونتيس : ولماذا كنت في الشارع ؟.
كريكيه : سيادتكِ قلتِ لي أن أخرج.
الكونتيس : تبّاً لك من أبله. عليك أن تفهم أن الابتعاد لا يعني الذهاب الى الشارع، بل الى مكان قريب داخل المنزل لتسمع متى نناديك. يا اندريه يجب عليك ان تطلبي من سائق عربتي ان يضرب هذا الغبي لكي

يعرف كيف يتصرف في المرة القادمة. حقاً هذا الاحمق عديم الذوق.

اندريه : من هو سائق عربتك، يا سيدتي ؟ هل هو المعلم شارل مَن تسميه سائق عربتك ؟.

الكونتيس : اصمتي، ايتها الحمقاء. أنت لا تنطقين كلمة بدون ان تتفوّهي بسخافات مزعجة. اين المقاعد ؟ لماذا اشعلت شمعتين فقط في هذه القاعة الواسعة ؟ لقد أصبح الوقت متأخّراً. لماذا تنظرين اليّ بمثل هذه البلاهة ؟.

اندريه : سيدتي...

الكونتيس : ما بك ؟ قولي حالاً.

اندريه : إنّ...

الكونتيس : ماذا ؟.

اندريه : لم يعد لدينا من شموع.

الكونتيس : ماذا تقولين ؟ الم يعد لدينا من شموع ؟.

اندريه : كلا، يا سيدتي. إلّا اذا كنت تعنين هذه الشموع المصنوعة من الشحم.

الكونتيس : تبّاً لكِ من بلهاء. أين هي الشموع المصنوعة من الشمع العسلي التي بعثتِ كريكيه واشتراها منذ يومين ؟.

اندريه : انا لم ابصرها، يا سيدتي.

الكونتيس : اغربي عن وجهي، أيتها الحمقاء البلهاء. لا بد من إعادتك إلى أهلك. إجلبي لي قدح ماء. هيّا أسرعي. (تقوم بعدّة حركات كأنها تريد أن تجلس).

جوليا : سيدتي.

الكونتيس : ما بكِ، يا سيدتي.

جوليا : يا إلهي. هل سيدتي ؟...

الكونتيس : حقاً ماذا تريدين، يا سيدتي ؟.

جوليا : يا الهي. ما هذا، يا سيدتي ؟.

الكونتيس : آه، يا سيدتي...

جوليا : نعم، يا سيدتي.

الكونتيس : اذاً، يا سيدتي.
جوليا : هيا، هيا، يا سيدتي.
الكونتيس : نعم، يا سيدتي.
جوليا : ماذا، يا سيدتي ؟.
الكونتيس : انا هنا كأني في بيتي. ونحن كلتانا متفقتان علىٰ ذلك. هل تظنّين اني قادمة من الارياف، يا سيدتي ؟.
جوليا : معاذ الله، يا سيدتي.
الكونتيس : ايتها الخادمة الشقية، هل أشرب بصحن الفنجان ؟ هل قلت لك اجلبي لي ماءً بصحن الفنجان لأشرب، أم بالقَدَح ؟.
اندريه : ما معنى صحن الفنجان، يا كريكيه ؟.
كريكيه : صحن الفنجان ؟.
اندريه : نعم.
كريكيه : لا أعرف.
الكونتيس : هل تتغابيان كلاكما امامي ؟.
اندريه : لا نعرف، لا انا ولا هو، يا سيدتي، ما هو صحن الفنجان.
الكونتيس : إعلما اذاً ايها الجاهلان، ان صحن الفنجان هو الصحن الذي يوضع عليه قدح الماء. لتحيا باريس، لأنها تحوي أمثالكما. حقّاً ألاحظ انكما تفهمان بالاشارة وبغمزة عين. تبّاً لغبائكما. ان رأس كلٍ منكما يشبه رأس البقر. هل فهمتما الآن ما هو صحن الفنجان ؟.
اندريه : هذا سهل تعلّمه. (تكسر اندريه الصحن)
الكونتس : ما هذا الطياشة ؟ طبعاً ستدفعين ثمن الصحن الذي كسرته.
اندريه : اذا اردت، يا سيدتي، سأدفع ثمنه.
الكونتس : تبّاً لك من غبية.
اندريه (**وهي ذاهبة**) : يا سيدتي، سأدفع ثمنه، وأنا لا أحب الشجار.
الكونتس : اذاً إذهبي من أمامي، يا محتالة. في الحقيقة، أمر بنات المدينة غريب عجيب، لا يعرفن شيئاً ولا يحترمن اصحاب المقامات العالية. لقد قمت بثلاث زيارات، حيث كدت افقد صوابي من قلّة الاعتبار الذي لقيته هناك.

جوليا : اين تريدين ان يتعلّم هؤلاء المساكين، وهم لم يسافروا الى باريس.
الكونتس : أين يمكن تعويد الفوضويّين ان يعيشوا بترتيب ونظام ويحترموا الاشخاص الذين يليق بهم كل تقدير وتبجيل. ولكن المشكل هو أن هؤلاء الخدام يريدون ان يتعلموا ويتصرّفُوا مثلي أنا بعد ان قضيت مدة شهرين في باريس، وشاهدت كل ما يجري من لياقات في البلاط الملكي.
جوليا : هم في الواقع بُلَداء تعساء.
الكونتس : هم لا يُطاقون، ويصرّون على معاملة الجميع على قدم المساواة بدون مراعاة التفاوت بينهم في المستوى والمراتب. انا افهم أن هناك فرقاً شاسعاً بين تربيتنا العريقة وعيشتهم البذيئة. لا بدّ من وجود أُجراء للقيام بالاعمال الوضيعة. لكن ما يزعجني ويغضبني هو أن أرى رجلاً مكث في المدينة منذ يومين أو وقتاً طويلاً، ويتغابى مدّعياً انه أصبح من الذوات نظير المرحوم زوجي الذي عاش في الارياف، وكان لديه مجموعة كلاب صيد سريعة وقد اكتسب لقب كونت وكان يذكره في كافة العقود التي يوقّعها.

جوليا : لا شك في أن أهالي باريس يعرفون كيف يتصرفون جيداً في منازلهم الفخمة التي يذكرها الناس هنا ويقدّرونها ويعجبون بها. فهناك قصر « موهي » يا سيدتي، وقصر ليون، وقصر هولندا. ما أحلى وأفخم هذه القصور الرائعة.

الكونتس : هذا صحيح. هناك ايضاً فروق شاسعة بين منازل هذه الجهات وقصور باريس التي يرتادها عليّة القوم الذي لا يتأخّرون عن تقديم الاحترام الذي يليق بصاحبه. هناك لا تنهض السيدات عن مقاعدهن. وحين يريد الكبار ان يتسلّوا، لديهم رقصات الباليه في أوبرا « بسيشيه » التي تأخذ بمجامع القلوب.

جوليا : أعتقد، يا سيدتي، انك اثناء مكوثك في باريس، اكتسبتِ مودّة كثيرٍ من الاشخاص، الممتازين.
الكونتس : يمكنك ان تصدّقيني، يا سيدتي، اني لفتّ انظار المتأنّقين الظرفاء، وهم يكادون يطرقون بابي كل يوم. وانا الآن احفظ في صندوق صغير

جميع رسائلهم اللطيفة التي وجّهوها اليّ وهي حافلة بالثناء والإطراء. ويسعك ان تتصوّري كم من العروض والتلميحات رفضت، ولست بحاجة لذكر اسماء أصحابها المرموقين. فأنت ادرى من سواك بمن يتردّدون على البلاط الملكي.

جوليا : أنا متعجبة، يا سيدتي، ان تكون الاسماء الرّنانة التي يُخيَّل اليّ اني سمعت بها من أمثال السيد تبيوديه المستشار القانوني، والجابي السيد هربين، وغيرهم. لكني لا أنكر أن الفرق شاسع بين هذه الجهات وتلك. فإن السيد الفيكونت مع انه فيكونت في الارياف لا في باريس، لقبه دائماً مشرّف ونبيل، ويستطيع ان يذهب الى باريس متى شاء، رغم انه لم يسافر ولا مرة الى هناك لكن ذوي رتبة المستشار والجابي هما من العشاق المتوسّطين بالنسبة الى من تحمل لقب كونتيس.

الكونتس : الذوات هم أشخاص لا بدّ من مداراتهم واحاطتهم بالاعتبار اللائق في الارياف. لانهم يملأون الفراغ في المجاملة أمام عدد كبير ممّن يخطبون ودّ السيدات. ومن المستحسن، يا سيدتي، ان لا ندع عاشقاً واحداً يستأثر بالساحة خشية ان يستبدّ بالمتودّدين، إذا خلا له الجوّ لأن الحب في مثل هذا الوضع يغط في سبات عميق، إذا لم يجد منافساً او منافسين لبثّ روح الحماس في المزاحمة الشيّقة المرغوبة.

جوليا : انا اعترف لك، يا سيدتي، بأن هناك مجالاً مستحبّاً تجدر الاستفادة منه. في الحقيقة مثل هذا الجو المرح مدرسة يتقن فيها الانسان الاحاديث الطلية. وانا اداوم باستمرار كي أتعلّم في كل مرة أطرف المستجدّات.

المشهد الثالث

كريكيه، والكونتيس، وجوليا، واندريه، وجانو

كريكيه : ها هوذا جانو، خادم سيدي المستشار، قد جاء يطلب مقابلتك، يا سيدتي.

الكونتس : وماذا يريد هذا المحتال ؟ هذا غبي آخر نظيرك، لأنه لو كان أذكى ممّا هو، لكان تقدّم وهمس في اذن الآنسة التي ترافقني لتقترب مني بكل ادب ولطف وتهمس بدورها في اذن سيدتها قائلة : يا سيدتي جاء خادم السيد فلان، ويودّ ان يقول لك كلمة. فتجيبه السيدة : دعيه يدخل.

كريكيه : ادخل، يا جانو.

الكونتس : هذه سماجة أخرى. ماذا تريد أيها الخادم ؟ وماذا تحمل بيدك ؟.

جانو : يا سيدتي، سيدي المستشار، يبلغك تحياته قبل أن يأتي لزيارتك. وقد أرسل معي لك من أجاص جنينته بصحبة هذه الرسالة.

الكونتس : هذا رجل سليم الذوق، ظريف لطيف. يا اندريه، خذي هذه السلّة الى غرفة المائدة. وهذه اكرامية لك، يا غلام.

جانو : لا لزوم لذلك، يا سيدتي الكريمة.

الكونتس : خذ ولا تتردّد.

جانو : سيدي حرّم علي أخذ أيّة اكرامية، يا سيدتي.

الكونتس : لا بأس. خذ ما أعطيك اياه.

جانو : أعذريني، يا سيدتي.

كريكيه : خذ، يا جانو. وإن كنت لا تريدها. يمكنك ان تعطيني إيّاها.

الكونتس : قُل لسيدك إني أشكره شكراً جزيلاً.

الخادم : أعطني ما أخذت.

جانو : ما أغباك أيها الأبله.

الخادم : أنا ألْححت عليك لكي تأخذها.

جانو : كنت أخذتها بدون مداخلتك.

الكونتس : إن ما يعجبني في السيد تيبوديه هو معرفته كيف يعيش ويتعاطى مع الاشخاص الممتازين. وهو يكنّ لهم التقدير والاحترام.

المشهد الرابع

الفيكونت، والكونتيس، وجوليا

الفيكونت : يا سيدتي، جئت أنبّهك الى ان المسرحية أوشكت أن تصبح جاهزة، وبعد ربع ساعة سننتقل الى القاعة.

الكونتس : أنا لا أريد أن اسمع اية ضجة. فأَوْعِزوا الى حارسي أن لا يدع أحداً يدخل.

الفيكونت : في هذا الحال، يا سيدتي، أعلن لك أني لا أريد مشاهدة المسرحية. اذ لا يسرّني ان اكون في جوٍّ عددُ اشخاصه قليل. صدّقيني اذا أردتِ حقّاً أن تتسلّي، أُوْصي جماعتك ان يَدَعوا كافّة سكان المدينة يدخلون.

الكونتس : ايها الخادم، أحضر مقعداً. لقد جئت، يا سيدتي، في وقتك لتحظى بهدية صغيرة أودّ أن أقدّمها لك. هذه هي رسالة تلقيتها من السيد تيبوديه الذي ارسل بصحبتها سلة إجاص. ولا بأس إن شئت أن تقرأها لأني لم اشاهدها بعد.

الفيكونت : هذه الرسالة مكتوبة باسلوب سلس، يا سيدتي، ويجدر بالانسان ان يستمع اليها (يقرأ) : سيدتي، لم أكن استطيع ان أقدّم لك الهدية المتواضعة التي ابعث بها اليك لولا أني أجني من حديقتي ثماراً اكثر مما أجنيه من حبي.

الكونتس : هذا دليل قاطع على ان ليس بيننا علاقة تستحقّ الذكر.

الفيكونت (**يواصل القراء**) : الإجاصات لم تنضج بعد تماماً. لكنها تنسجم وخشونة طبعك الذي نظراً الى ما تتصفين به من الإزدراء، لا يبشّرني بإجاصات ناضجة. فكوني على يقين، يا سيدتي، اني بدون أن أعدّد مزاياك العالية وخصالك الحميدة التي تدفعني الى التقدم باستمرار، أكتب اليك هذه الكلمة لأفيدك اني صريح جداً حتى ان الاجاصات التي أبعث بها اليك هي بادرة مبادلتك الشرّ بالخير أي اني أشرح لك، يا سيدتي، بصورة

مقتضبة، وضعي ازاءك، بما اني أقدّم لك إجاصات نصف ناضجة بدل مبادراتك الحافلة بالتحكّم والشراسة التي أتلقّاها كل يوم مِن قِبَلك.

صديقك الودود

تيبوديه

هذه، يا سيدتي، رسالة تستحقّ الحفظ لتلاوتها من حين الى آخر.

الكونتس : فيها بعض كلمات لا تليق بمستوى المجمع اللغوي، لكني استشفّ منها احتراماً فائقاً يعجبني.

جوليا : الحق معك، يا سيدتي ويا سيدي الفيكونت، وإن كانت تحوي ما يغيظ، أتمنى أن يكون لي من يكتب مثلها.

المشهد الخامس

السيد تيبوديه، والفيكونت، والكنتيس، وجوليا، واندريه، وكريكيه.

الكونتس : اقترب، يا سيدي تيبوديه، ولا تخفْ أن تدخل. وصلتني رسالتك اللطيفة مع إجاصاتك اللذيذة. وها هي السيدة تكلّم عنك خصمك.

تيبوديه : انا اقدّر لطفها، يا سيدتي، واذا اتّفق لها ان ترفع قضيّة الى مقامنا، سترى اني لن أنسى المعروف الذي أسدته اليّ بمجيئها الى منزلك بصفتك محامية بارعة تدافعين عن اشواقي.

جوليا : أنت لست بحاجة الى محام يدافع عنك، يا سيدي، لان قضيّتك عادلة ومحقّة.

تيبوديه : على كل حال، يا سيدتي، حتّى الحقّ الصريح يحتاج الى مساعدة في موضوع الافتراء عليّ ومحاولة إحلال منافسي محلّي، على ان لا تجتذب السيدة حسنات الفيكونت هكذا.

الفيكونت : أتمنى شيئاً آخر، يا سيدي تيبوديه قبل رسالتك اللطيفة. ولكني خائف على حبي.

تيبوديه : ها هما بيتان من الشعر، يا سيدتي، أو بالحري مقطعان نظمتهما إكراماً لك وثناءً على فضائلك.

الفيكونت : انا لم اظنّ يوماً ان السيد تيبوديه شاعر. وها هما بيتان آخران يضيفهما الى ما نظمه لك سابقاً.

الكونتس : هما في الحقيقة تحفتان. ايها الخادم، ناولني مقعداً لأُجْلِس عليه السيد تيبوديه. هذا مقعد صغير، ايها الحيوان الحقير. مع ذلك تفضل، يا سيدي تيبوديه، من فضلك إجلس، ثم أسمِعنا مقطعيك الجديدين المشوّقين.

تيبوديه : شخص مرموق،
متوتّر محروق
انا احبه
لكني أُلومه
على شموخه

الفيكونت : لقد ضعضعت تفكيري بهذه الكلمات.

الكونتس : اول بيت جميل للغاية : شخص مرموق.

جوليا : اعتقد أن ذلك بديع. ويقتضي الانسان أن يحوز على شهادة عالية ليأتي بمثل هذه الفكرة الرائعة.

الكونتس : هات المقطع الثاني.

تيبوديه : لست ادري ان كنت تشكّين بحبي الكامل
لكني لا اعلم ان كان قلبي الى شخصك مائل
ينوي مغادرة مقره الحزين
ليذهب احتراماً ويناجي قلبك الامين
بعدئذ أكون وثقت بحنانك
وانا كلي إيمان بصدق وفائك
لتؤكّدي بدورك حسن النيّة
عليك إظهار اهليتك للكونتيّة
فتخلعي عنك ثوب النمرة الشرسة
وتموّهي دوماً كوامن النفس الأبيّة

الفيكونت : ها اناذا قد اقتلعت عواطفي من جذورها وأحللتك محلها، يا سيدي تيبوديه

الكونتس : لا تظن انك تهزأ بي في إشعارك التي نظمتها في الريف، وهي في غاية الروعة.

الفيكونت : ماذا تقولين، يا سيدتي ؟ وهل أنا من طبيعتي ان أهزأ ؟ مهما كان خصمي لدوداً إني أجد هذه الأشعار ممتازة. وأنا لا أعتبرها مقطعين، كما قلت، بل قصيدتين اروع بما لا يقاس روحاً ونصّاً مما نظمه سواك من الفطاحل، مثلاً « مرسْيال »

الكونتس : ماذا تقول ؟ هل ينظم « مرسْيال » اشعاراً ؟ كنت أظن انه لا يتقن سوى صنع القفازات.

تيبوديه : لا أعني « مرسيال » الذي تعرفينه، يا سيدتي، بل « مرسْيال » آخر هو المؤلف الذي عاش منذ ثلاثين او اربعين عاماً.

الفيكونت : السيد تيبوديه يتذوّق تلاوة نتاج المؤلفين كما تلاحظ، يا سيدي. لكن تعالي نذهب يا سيدتي، علّنا نرى إن كانتِ موسيقاي ومسرحيتي، مع حلقات رقص الباليه ستتفوق في نظرك على هذين المقطعين والرسالة التي اطلعنا عليها منذ هنيهة.

الكونتس : لا بد لولدي الكونت من ان يكون بين المجتمعين. لانه جاء هذا الصباح من قصري برفقة استاذه الذي اراه ها هنا.

المشهد السادس

السيد بوبينيه، والسيد تيبوديه، والكونتيس، والفيكونت، وجوليا، واندريه، وكريكيه.

الكونتس : مهلاً، يا سيدي بوبينيه، واقترب منا.

بوبينيه : بلِّغ سلامي جميع الحاضرين الشرفاء. ماذا تريد سيدتي الكونتيس

أسْكرْبنياس من خادمها الأمين ؟.
الكونتس : في أية ساعة ذهبت، يا سيدي بوبينيه، من منطقة اسْكرْبنْياس بصحبة ابني الكونت.
بوبينيه : في تمام الساعة الثامنة وخمسة وأربعين دقيقة، يا سيدتي، حسب الأوامر التي أصدرتها في حينها.
الكونتس : كيف حال إبنيَّ الآخريْن، المركيز والضابط.
بوبينيه : هما والحمد لله بصحة جيدة، يا سيدتي.
الكونتس : اين الكونت ؟.
بوبينيه : هو في غرفة نومك الجميلة، يا سيدتي.
الكونتس : وماذا يفعل السيد بوبينيه ؟.
بوبينيه : يكتب موضوعاً، يا سيدتي، كنت أمْلَيْته عليه منذ فترة رداً على رسالة شيشرون.
الكونتس : دْعه يأتي، يا سيدي بوبينيه.
بوبينيه : حالاً، يا سيدتي، حسب أوامرك.
الفيكونت : هذا السيد بوبينيه، يا سيدتي، مظهره يدل على التروّي والتبصّر. وأظن أنه حادّ الذكاء، عالي الثقافة واسع الإطّلاع.

المشهد السابع

الكونتيس، والفيكونت، والكونت، والسيد بوبينيه، والسيد تيبوديه، وكريكيه

بوبينيه : هيّا، يا سيدي الكونت، هيّا بيّن لنا انك استفَدْتَ من المستندات القيّمة التي وصلتك. تحياتي لجميع أعضاء المجلس.
الكونتس : ايها الكونت، ارجوك أن تحيّي السيد المستشار.
تيبوديه : انا مسرور، يا سيدتي، لأنك أذنتِ لي بمعانقة ابنك سيدي الكونت. اذ لا يمكن أن نحب جذع الشجرة بدون أن لا نحب أغصانها.

الكونتس : يا الهي. أيها السيد تيبوديه، ما هذه المقارنة التي أتيت على ذكرها هنا.

الفيكونت : هذا نبيل صغير أُضيف الى عالم النبلاء.

جوليا : ومن قال إن لسيدتي إبناً كبير السنّ كهذا ؟.

الكونتس : مع الاسف، عندما ولدته كنت صغيرة السن لم أبدأ بعد ان ألعب بالدمية.

جوليا : إنه أقرب إلى كونه أخيك، لا إبنك.

الكونتس : يا سيدي بوبينيه، أرجوك ان تعتني جيداً بتربيته وثقافته.

بوبينيه : يا سيدتي، لن أُهمِل أبداً ما ينمّي ثقافة هذا الإبن الفتي، ما دمت صاحبة الفضل، وقد كلّفتني بالسهر على سلوكه، وسأجتهد أن أزرع وأنمّي بذور الفضيلة في صدره.

الكونتس : يا سيدي بوبينيه، أرجوك أيضاً ان تعوّده على استخدام المجاملات التي تعلمه إياها.

بوبينيه : هي باللغة اللاتينية، وتشكل اول قاعدة وضعها جان ديبوتار.

الكونتس : أرجوك ان تعْلَمَ أن جان ديبوتار مستهتر. من فضلك علّم ولدي لغة لاتينية أشرف من هذه.

بوبينيه : اذا شئت، يا سيدتي، دعيه يكمل ما بدأه، والقاموس يشرح له معاني الكلمات.

الكونتس : لا، لا. دعه يتعلّم ما هو مشروح كفاية.

كريكيه : أفادنا الممثلون ان المسرحية أضحت جاهزة.

الكونتس : هيا اذاً نجلس على مقاعدنا. ها هي السيدة التي حدّثتك عنها، يا سيدي بوبينيه.

الفيكونت : لا بد من القول إن هذه المسرحية لم تكتمل إلّا بعد ان جمعت شتى القطع الموسيقية والرقصات التي تؤمّن التسلية والتي...

الكونتس : سنرى النتيجة الآن. لأن هذه الامور تحتاج الى ذهن متوقّد لإدراك فحواها.

الفيكونت : من فضلك أبلغهم أن يبدأوا. لا بدّ من منع كل مزعج من الدخول خشية تشويش هذه الحفلة الترفيهيّة.
(في هذه الأثناء يباشر العزف على آلات الكمان برهةً ريثما يجلسن جميع الحاضرين).

المشهد الثامن

الكونتيس، والكونت، والفيكونت، وجوليا، والسيد هرْبين، والسيد تيبوديه (وهو يجثو عند قدمي الكونتيس)، والسيد بوبينيه، واندريه

هربين : في الحقيقة، المنظر جميل، وأنا مسرور بمشاهدة ما يجري.
الكونتس : يا سيدي الجابي، ماذا تقصد بكلامك هذا ؟ هل يجوز أن تأتي لتشويش مثل هذه المسرحية ؟.
هربين : يا سيدتي، أنا مسرور جداً بهذه الحفلة لأنها تتيح لي أن أرى ما أودّ أن أبصره فيك، وأوقن بأنك تمنحينني قلبك، وقد أقسمت أن يظل أميناً لي.
الكونتس : حقاً لا أعتقد ان أحداً يأتي لمقاطعة المسرحية، والتشويش على ممثلين يتقنون ادوارهم ويبرعون في الإلقاء.
هربين : أؤكد لك ان المسرحية الحقيقية هي التي تُمثَّل هنا في القاعة لا على خشبة المسرح. ولنفرض اني أشوش عليكم فهذا لا يهمني كثيراً.
الكونتس : في الواقع، أنت لا تعي ما تقول.
هربين : هذا صحيح. وأنا عالم بذلك جيداً. أجل أعرفه حق المعرفة و ...
الكونتس : تبّاً لك يا سيدي، ما اسوأ ظنّك وحلفانك باطل هكذا.
هربين : إن وجدت هنا بعض السوء، فليس ما تلفظت به أنا من سُباب بل ما اتيتيه انتِ من افعال قبيحة. كان الأجدر بكِ أن تحلفي برأسكِ وذمّتكِ عوضاً عمّا فعلته انتِ وسيدي الفيكونت.
الفيكونت : لست أدري، يا سيدي الجابي، مِمَّا تشكو أنت، واذا...
هربين : ليس لديّ ما اقوله عنك، يا سيدي الأحرى بك ان تواصل شكواك.

وهذا امر طبيعي لا أستغربه ابداً. وأطلب منك العفو اذا كنت قد قاطعت مسرحيتك. لكنك لن تجد غريباً أن اتشكّى أنا من هذا التصرف. فكلانا أصبنا بما اتيناه مع صنيع.

الفيكونت : لا اعتراض لديّ على ذلك. ولست أعرف موضوع تزّمرك من السيدة الكونتيس أسْكرْبنْياس.

الكونت : عندما يكون الانسان مستاءً بدافع الغيرة أوْ الحسد، لا يتصرّف بتاتاً هكذا، بل يذهب الى المحبوب ويشكو له ما يضايقه.

هربين : انا أشتكي بلطف.

الكونتس : نعم، لا أحد يصرح ويضجّ أثناء تقديم المسرحية، بل يُبدي ما لديه أن يقوله على حدة.

هربين : انا قادم الى هنا خصّيصاً، لأن المكان يلائمني. وأنا مسرور بكونه مسرحاً عامّاً لكي أُذيع على الملأ حقائقك غير المشرّفة.

الكونتس : وهل كان ضرورياً إحداثك كل هذا الصخب أثناء تمثيل المسرحية التي قدّمها لي السيد تيبوديه، وهو يحبّني كأخيه، ويحترمني اكثر منك بما لا يقاس.

هربين : السيد تيبوديه يحترمك كما يحلو له. ولست أدري بأي أسلوب يعاملك هذا المحتال. لكن بالنسبة اليّ مثلاً أنا غير مستعد أن أدفع له أجْر العازفين ليدعو الآخرين الى الرقص على انغامهم وعلى حسابي.

الكونتس : في الحقيقة، يا سيدي الجابي، يبدو لي أنك لا تفكّر بما تقول. فلا سبيل الى معاملة النساء الممتازات على هذا النحو. ومن يسمع تصريحك يظن أن بيني وبينك أموراً فظيعة.

هربين : ارجوك ايتها الكونتس أن تنهي هذا الحديث.

الكونتس : ما تقصد « بإنهاء الحديث » ؟.

هربين : أعني أني لا أجد غرابة في تقديم واجب الاحترام للسيد الفيكونت. فأنت لست أوّل امرأة تمثلين هذا النوع من الخلق، والى جانبك سيدي الاستاذ الذي نبتزّ كلانا عاطفته ومحفظة نقوده، لدى اول فرصة يتسنّى لنا اغتنامها. ولكن ألاَ تري عجباً هكذا ان لا اكون المخدوع إزاء امانة

عاديّة بالنسبة الى غانية مغناجة لا يجود بها الزمان إلّا نادراً. وأنا آتي لأؤكد لك بصدق أمام شخص محترم اني مصمّم على قطع كل صلة بك، وأن سيدي الجابي لن يكون من الآن وصاعداً هو من يسدّد الحساب.

الكونتس : هذا رائع. وبما ان العشّاق الغَضْبى أضحوا زيّاً قائماً بذاته لم نَعُد نرى سواهم اينما كنّا. مهلاً، مهلاً، يا سيدي الجابي دع عنك غضبك وتعال اجلس معنا لنشاهد المسرحية.

هربين : أأنا أجلس ؟ معاذ الله. أنا أتركك، يا سيدتي الكونتيس، بصحبة السيد الفيكونت وأرسل إليه تحاريري من الآن وصاعداً. انتهتْ حفلتي بعد أن مثّلت دوري فيها على ما يرام وأنا دائماً في خدمتك.

تيبوديه : يا سيدي الجابي، سنلتقي في غير هذا المكان وسأُثبت لك أني دائماً أستعمل الكلمة الجريئة والريشة الماهرة.

هربين : الحق معك، يا سيدي تيبوديه.

الكونتس : اما انا فأكاد أذوب خجلاً من هذه المهزلة.

الفيكونت : تبّاً لأهل الغيرة والحَسَد، يا سيدي، لأنهم تعوّدوا أن يخسروا دعواهم وهم يسمحون لذواتهم بقول كل ما يعجبهم. والآن دعونا نشاهد المسرحية.

المشهد التاسع والاخير

الكونتيس، والفيكونت، والكونت، وجوليا، والسيد تيبوديه، والسيد بوبينيه، وأندريه، وجانو وكريكيه

جانو : هذه الرسالة، يا سيدي، طُلب مني ان أسلّمك إياها.

الفيكونت (يقرأ) : إذا كان عليك إتّخاذ بعض الاحتياطات، أعلمني سريعاً. فإن شجارات أهلك وأهل جوليا قد سُوِّيَت منذ هنيهة، وشروط الاتفاق تقتصر على اقترانك بها. عِمْتَ مساءً. من الغرابة، يا سيدتي، أن تنتهي مسرحيتك على هذه الصورة.

جوليا : ما أسعدني، يا فيكونت. هل كنت أجسر على الأمل بأن يـؤول حبي الى هذه الخاتمة السعيدة ؟.

الكونتس : ماذا جرى ؟ وما معنى قولك هذا ؟.

الفيكونت : هذا معناه، يا سيدتي، أن جوليا ستُزفّ إليّ. وأنتِ لا تصّدقين هذا الواقع. ولكي تلمسي الحقيقة الأكيدة وتري مسرحيّتك أنت أيضاً ناجحة، عليك أن تقترني بالسيد تيبوديه، وتزفّي الآنسة اندريه الى كريكيه، فيمسي خادمها الأمين الى أبد الآبدين.

الكونتس : ماذا تقول ؟ هل تسخر من شخص رصين مثلي ؟.

الفيكونت : يا سيدتي، .بدون أن أقصد إزعاجك، هذه هي الخاتمة المأمولة بالمسرحيّات التي تُمثّل حولنا في هذا العالم العجيب الغريب.

تيبوديه : هذا يشرّفني، يا سيدي.

الفيكونت : بعد اكتمال التدابير السارّة، تعالي، يا سيدتي، رغم عدم رضاك على ما يحدث، نواصل مشاهدة بقيّة المسرحية التي تمثّل أمامنا ها هنا.

(تمت)